

فتح القدير

16 - { قل من رب السموات والأرض } أمر اﷻ سبحانه رسوله أن يسأل الكفار من رب السموات والأرض ؟ ثم لما كانوا يقولون بذلك ويعترفون به كما حكاه اﷻ سبحانه في قوله : { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم } وقوله { ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن اﷻ } أمر رسوله A أن يجيب فقال : { قل اﷻ } فكأنه حكى جوابهم وما يعتقدونه لأنهم ربما تلعثموا في الجواب حذرا مما يلزمهم ثم أمره بأن يلزمهم الحجة ويبكتهم فقال { قل أفأخذتم من دونه أولياء } والاستفهام للإنكار : أي إذا كان رب السموات والأرض هو اﷻ كما تقولون بذلك وتعترفون به كما حكاه سبحانه عنكم بقوله : { قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون اﷻ } فما بالكم اتخذتم لأنفسكم من دونه أولياء عاجزين { لا يملكون لأنفسهم نفعا } ينفعونها به { ولا ضرا } يضرهم به غيرهم أو يدفعونه عن أنفسهم فكيف ترجون منهم النفع والضرر وهم لا يملكونهما لأنفسهم والجملة في محل نصب على الحال ثم ضرب اﷻ سبحانه لهم مثلا وأمر رسوله A أن يقول لهم فقال : { قل هل يستوي الأعمى والبصير } أي هل يستوي الأعمى في دينه وهو الكافر والبصير فيه وهو الموحد فإن الأول جاهل لما يجب عليه وما يلزمه والثاني عالم بذلك قرأ ابن محيصن وأبو بكر والأعمش وحمزة والكسائي { أم هل تستوي الظلمات والنور } بالتحية وقرأ الباقر بالفوقية واختار القراءة الثانية أبو عبيد والمراد بالظلمات الكفر وبالنور الإيمان والاستفهام للتقريع والتوبيخ : أي كيف يكونان مستويين وبينهما من التفاوت ما بين الأعمى والبصير وما بين الظلمات والنور ووجد النور وجمع الظلمة لأن طريق الحق واحدة لا تختلف وطرائق الباطل كثيرة غير محصورة { أم جعلوا اﷻ شركاء خلقوا كخلقه } أم هي المنقطعة التي بمعنى بل والهمزة : أي بل أجعلوا اﷻ شركاء خلقوا كخلقه والاستفهام لإنكار الوقوع قال ابن الأنباري : معناه أجعلوا اﷻ شركاء خلقوا مثل ما خلق اﷻ فتشابه خلق الشركاء بخلق اﷻ عندهم : أي ليس الأمر على هذا حتى يشتبه الأمر عليهم بل إذا فكروا بعقولهم وجدوا اﷻ هو المنفرد بالخلق وسائر الشركاء لا يخلقون شيئا وجملة : خلقوا كخلقه في محل نصب صفة لشركاء والمعنى : أنهم لم يجعلوا اﷻ شركاء متصفين بأنهم خلقوا كخلقه { فتشابه } بهذا السبب { الخلق عليهم } حتى يستحقوا بذلك العبادة منهم بل إنما جعلوا له شركاء الأصنام ونحوها وهي بمعزل عن أن تكون كذلك ثم أمره اﷻ سبحانه بأن يوضح لهم الحق ويرشدهم إلى الصواب فقال : { قل اﷻ خالق كل شيء } كائنا ما كان ليس لغيره في ذلك مشاركة بوجه من الوجوه قال الزجاج : والمعنى أنه خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقا ألا ترى أنه تعالى شيء

وهو غير مخلوق { وهو الواحد } أي المتفرد بالربوبية { القهار } لما عداه فكل ما عداه
مربوب مقهور مغلوب